

الدرس الرابع والخمسون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد:

فيقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى في كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» :

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبر من الأحرار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول: أنا الملك ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقاً لقول الخبر، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ الآية . وفي رواية لمسلم: "والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أنا الله ." وفي رواية للبخاري: "يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع" أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» .

هذه الترجمة ختم بها المصنف الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كتابه العظيم المبارك «كتاب التوحيد» ، وختم الكتاب بهذه الخاتمة العظيمة من حسن الختم لهذا الكتاب وجماله ؛ لأن هذه الخاتمة أو هذه الترجمة التي ختم بها هذا الكتاب فيها بيان لعظمة الخالق جل في علاه أنه عز وجل الرب العظيم وأنه جل وعلا وحده المستحق للذل والخضوع والانكسار وأن يفرد جل في علاه بالعبادة ، وهذه الترجمة انتظمت أقسام التوحيد الثلاثة؛ الربوبية ، والألوهية، والأسماء والصفات .

وصدّرها رحمه الله تعالى بقول الله جل وعلا: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

ومعنى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ : أي لم يعظّموه سبحانه وتعالى حق تعظيمه .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وكل من أنكر أسماء الله جل وعلا وصفاته وقال بما يتنافى مع عظّمته سبحانه وتعالى وجلاله فإنه ما عظّم الرب العظيم جل وعلا حق قدره .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومن قال في صفاته سبحانه بما يخالف كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإنه ما عظّم ربه تبارك وتعالى حق تعظيمه .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومن قال أيضا بما يتنافى مع حكمة الله جل وعلا وخلقه لهذه المخلوقات وإنزاله للكتب مشتملةً على هداية الخلق وصلاحهم وفلاحهم فإنه ما عظّم ربه تبارك وتعالى حق تعظيمه ، قد قال الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] ، فمن جحد وحي الله أو قال بما يخالف وحي الله عز وجل وما دل عليه كتاب الله جل وعلا من وجوب توحيد الله وإخلاص الدين له وإفراده وحده تبارك وتعالى بالعبادة فإنه ما عظّم الله حق تعظيمه .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومن اتخذ الشركاء مع الله وصرف شيئاً من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى أيّاً كان ذلك الغير فإنه ما عظّم الله تبارك وتعالى حق تعظيمه .

ولهذا فإن تعظيم الله حقاً وصدقاً يكون بمعرفته ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، وأفعاله الدالة على عظّمته وكماله وجلاله، ومن ثمّ إفراده سبحانه وتعالى بالذل والخضوع والانكسار وصرف العبادة له وحده تبارك وتعالى دون اتخاذ الشركاء والأنداد .

والتأمل في آيات الله ومخلوقاته العظيمة التي تدل على عظمة من خلقها سبحانه وتعالى بابٌ عظيم دعا الله جل وعلا عباده إلى التفكير فيه ، لأنه تفكّر نافع يهدي العبد بإذن الله سبحانه وتعالى إلى تعظيم خالق هذه المخلوقات ومبدع هذه الكائنات جلّ في علاه ، وقد قال الله تعالى : ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] .

انظر ثمرة هذا التفكير ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ ، فمن يتأمل في هذه المخلوقات العظيمة من سماوات وأرض وجبال وأنهار وليل ونهار إلى غير ذلك من مخلوقات الله تبارك وتعالى العظيمة فإن هذا التفكير يثمر بإذن الله تبارك وتعالى في العبد تعظيماً للخالق العظيم جل في علاه ، وتأمل في ذلك قول الله سبحانه وتعالى في سورة نوح قال : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿أَي لَا تَعْظُمُونَهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ﴾ ، فإن قوله ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿نظير قوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ .

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ أي عظمة وتعظيما ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) تَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿ ؛ فهذه كلها آيات عظيمة وبراهين ساطعات ودلائل واضحة على عظمة رب الأرض والسموات ، على عظمة خالق هذه المخلوقات ، وأن الواجب على كل من تفكر وتأمل في هذه المخلوقات أن يعظم من خلقها وأن يعرف عظمة من خلقها سبحانه وتعالى .

والله عز وجل عندما يذكر في كتابه العزيز ذكرًا متكررًا في مواضع عديدة منه آيات الله جل وعلا ومخلوقاته العظيمة يذكرها جل وعلا لتكون باب هداية للعباد لتعظيم من خلقها وإفراده وحده سبحانه وتعالى بالذل والخضوع والانكسار ، وتأمل أعظم آية في كتاب الله « آية الكرسي » صدرها الله عز وجل بالتوحيد الذي خلق الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] هذه هو التوحيد الذي خلق الخلق لأجله ، ثم ذكر بعد ذلك البراهين والدلائل على عظمة الرب سبحانه وتعالى المستوجبة لإفراده وحده بالعبادة ، وذكر من آياته العظيمة الدالة على عظيمته ما يحرك في القلوب تعظيم الرب جل وعلا ، وجاء في خاتمة هذه البراهين قوله سبحانه ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ، وقد قال بعض أهل العلم إن ذكر الكرسي - هذا المخلوق العظيم الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه وسع السماوات والأرض - جاء توطئةً بين يدي عظمة الخالق ، لأن الآية الكريمة حُتِمت بقوله ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ؛ وهذا هو المقصود ، المقصود أن يتأمل العبد في هذه الآيات العظيمة والمخلوقات الباهرات تأملًا يهديه إلى تعظيم الخالق جل وعلا .

والمصنف رحمه الله تعالى أورد تحت هذه الترجمة نصوصًا عظيمة كلها جاءت في مساق التفسير والبيان لقوله جل في علاه ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧] . وتأمل في هذه العظمة التي ذُكرت في هذه الآية الكريمة في سياق الإنكار على متخذي الأنداد من دون الله تبارك وتعالى ؛ قال : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ؛ أي هؤلاء الذين يعبدون غير الله ويستغيثون بغير الله ويلتجئون إلى غير الله ويدُلُّون ويخضعون لغير الله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ .

﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ؛ الأرض على سعتها وترامي أطرافها هذا شأنها ؛ تكون في قبضة الرحمن سبحانه وتعالى يوم القيامة .

﴿ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ وهي أوسع وأكبر من الأرض وهي محيطة بالأرض من كل جوانبها ، وسيأتي معنا المسافة بين السماء والأرض وبين كل سماء وسماء ؛ مما يوضح شيئًا مهولًا في العظمة ؛ مما يهدي لعظمة الخالق سبحانه وتعالى .

فهذه السماوات على اتساعها وترامي أطرافها ، وسيأتي أن كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة سنة ، جميع هذه السماوات مطويات بيمين الرب سبحانه وتعالى . ثم مع ذلك يوجد في الناس من يصرفون ذلهم وعبادتهم وخضوعهم لغير هذا الرب العظيم جل في علاه ؛ ولهذا ختم هذا السياق بقوله : ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي تنزهه وتقدس ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ؛ كيف يصح من عاقل أو يليق بإنسان أعطاه الله سبحانه وتعالى عقلاً يرى هذه المخلوقات التي تهدي وتدل وترشد إلى عظمة من خلقها سبحانه وأنه وحده الذي يجب أن يُخضع له ويُذل ثم يلجؤون إلى شيء من هذه المخلوقات!! إما حجر من الأحجار أو شجرة من الأشجار أو ضريح من الأضرحة أو قبة من القباب أو قُل ما شئت من هذه المخلوقات التي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، فضلا أن تملك شيئا من ذلك غيرها .

ساق المصنف رحمه الله تعالى تحت هذه الترجمة نصوصاً من السنة كلها أوردها رحمه الله تعالى بيانا لهذه العظمة ؛ عظمة الخالق جل وعلا المستوجبة لإفراده وحده بالعبادة .

قال : ((عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حَبْرٌ من الأَحْبَارِ)) والأحبار: هم علماء اليهود .

((جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إنا نجد -أي في الكتاب الذي بين أيدينا- أن الله يجعل -أي يوم القيامة- السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك)) ؛ وهذه النصوص جادة أهل السنة والجماعة فيها واحدة وطريقتهم واحدة وهي مبنية على التعظيم ؛ تعظيم الوحي المنزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعظيم كلام الرسول صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

فلما قال هذا الرجل من أحبار اليهود أننا نجد ذلك أي في المنزل علينا ضحك النبي عليه الصلاة والسلام ((فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه)) قال الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه راوي هذا الحديث «تصديقاً لقوله» ، ولا يليق بمقام النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أن يكون قال هذا الخبر في حضرته ما لا يليق بالله ثم يضحك إنكاراً لقوله كما يُزعم ويُدعى ، لا يليق ذلك بمقام النبي عليه الصلاة والسلام ، لو كان هذا القول لا يليق بالله لظهر عليه الغضب ، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما غضب لنفسه قط، لكن إذا انتهكت حرمت الله لم يغم له شيء صلوات الله وسلامه عليه . فلما قال هذا الخبر هذه الكلمات وهي كلامٌ حق وصدقٌ ضحك النبي عليه الصلاة والسلام تصديقاً لقول هذا الخبر .

((ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم -أي تصديقا لذلك- : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧])) ؛ فهذا الخبر جاء بين يدي النبي صلوات الله وسلامه عليه وذكر أن الله يوم القيامة يضع السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والثرى على

اصبع والماء على اصبع وسائر المخلوقات على اصبع ؛ فأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بضحكه صلى الله عليه وسلم ضحكاً حتى بدت نواجذه ، قال ابن مسعود «تصديقاً لقوله» ثم تلا الآية الكريمة ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .

فإذا نظرت هذه المخلوقات ؛ السماوات باتساعها وترامي أطرافها ، والأرضين وسعتها ، والثرى ، والماء ، وهذه المخلوقات، يضع السماوات على اصبع ، والأرضين على اصبع ، والثرى على اصبع ؛ هذا كله من الدلائل والشواهد على عظمة هذا الخالق ؛ يضع سبحانه وتعالى الثرى يوم القيامة على اصبع وفي الناس من أمضوا حياتهم كلها إلى أن ماتوا وهم يجمعون حفنةً من الثرى يضمون بعضها إلى بعض ويعبدونها من دون الله تبارك وتعالى !! هل عرفوا الله ؟ هل عرفوا عظمة الله سبحانه وتعالى؟ أفنوا حياتهم عند حجر أو صخرة أو قبة يلتجئون إليها ويدلون عندها ويخضعون ويسألونها ويرجون هل عرفوا الله؟! لا والله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .

قال : ((وفي رواية لمسلم: والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن)) جل في علاه ؛ أي يهز هذه المخلوقات وهي السماوات على اصبع ، والأرض على اصبع ، والثرى على اصبع ، إلى آخر ما جاء في الحديث يهزهن تبارك وتعالى ((فيقول: أنا الملك، أنا الله)) ؛ أنا الملك : أي المتفرد بالملك سبحانه وتعالى مالك الملك الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، وجاء في بعض الأحاديث أنه سبحانه وتعالى يقول: «أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» ، وجاء في القرآن ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] .

((فيهزهن ويقول: أنا الملك أنا الله)) «أنا الملك»: أي المتفرد بالملك، «أنا الله»: أي المعبود بحق ولا معبود بحق سواه قال : ((وفي رواية للبخاري: يجعل السماوات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع أخرجاه)) .

قال : ((ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله)) ؛ وهذا فيه إثبات اليمين لله عز وجل ، والذي قبله فيه إثبات الأصابع لله سبحانه وتعالى ، وكما قدمت طريقة أهل السنة في هذا الباب: إمرار النصوص كما جاءت والإيمان بها كما وردت ، ولا يجوز لإنسانٍ يقرأ هذه النصوص أن يخطر بباله يد الإنسان أو أصابع الإنسان ، فإن الله عز وجل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] ، قال الله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] ، وقال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ، فالله سبحانه وتعالى لا سمي له ولا

نظير ولا مثيل له جل وعلا ، وكيف يصح من عاقل يقرأ هذه الآيات ثم يخطر بباله يد الإنسان! هذه اليد الضعيفة اللائقة بضعف الإنسان ونقصه وقد قال الله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ .

قال : ((ثم يأخذهن بشماله)) وهذا فيه ذكر اليمين والشمال ؛ ذكر اليمين في أول الحديث ، وفي آخره قال « ثم يأخذهن بشماله » أي الأرضين السبع ، ولا يتنافى ذلك مع قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ((وَكَلَّمْنَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينًا)) ، لأن قوله ((وَكَلَّمْنَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينًا)) فيه دفعٌ لتوهم النقص فقال عليه الصلاة والسلام ((وَكَلَّمْنَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينًا)) أي كاملتين لا نقص فيهما بأي وجه من الوجوه .
قال : ((ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)) .

وروي عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم» .

قال : ((وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)) ؛ إلا كخردلة في يد أحدكم: أي كقطعة صغيرة جدًا من الحديد في يد أحدكم .
قال: ((ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم)) وهذا فيه بيانٌ لعظمة الله سبحانه وتعالى ، والذي ذكره ابن عباس شاهده تقدم معنا في الآية الكريمة والأحاديث التي ساقها المصنف رحمه الله تعالى .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد : حدثني أبي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس)) . وقال: قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) .

قال : ((وقال ابن جرير)) أي الطبري؛ الإمام المفسر ((حدثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد)) أي عبد الرحمن ابن زيد ابن أسلم ((حدثني أبي)) أي زيد ابن أسلم ، وزيد ابن أسلم تابعي ، فإذا قال التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مرسل ، وابنه عبد الرحمن ضعيف .

قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس)) أي نسبة السماوات السبع للكرسي كنسبة دراهم سبعة ألقيت في ترس .

قال: ((وقال أبو ذر)) وهذا يوهم أن هذا الذي ذكر متصل بما قبله ، لكن هذا الحديث المروي عن أبي ذر جاء بأسانيد عديدة يشد بعضها بعضا .

((قال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) ، وجاء في تنمة الحديث في بعض رواياته «وفضل العرش على الكرسي مثل ذلك» . وتأمل هنا هذه العظمة لهذه المخلوقات التي تهديك إلى عظمة من خلقها ؛ قال ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حدي ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)) وجاء في حديث آخر أن السماوات السبع والأرض إلى الكرسي مثل ذلك ؛ ((ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ألقيت في فلاة ، وفضل العرش على الكرسي مثل ذلك)) هكذا جاء الحديث في بعض رواياته .

تأمل في هذه النسب لهذه المخلوقات ؛ هذه الأرض التي تمشي عليها عندما تصعد فوق جبل من الجبال وتنظر إلى هذه الأرض تجد أن فيها سعة عجيبة ، وإذا ارتفعت أكثر رأيت من السعة أعجب وأعجب ، هذه الأرض الواسعة مترامية الأطراف مع السماوات السبع المحيطة بها -وسياقي معنا أن بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام ، وكثف كل سماء خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام - هذه الأرضون والسماوات السبع نسبتها إلى الكرسي الذي قال الله عنه ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] كحلقة من حديد ألقيت في صحراء ، ما نسبة الحلقة الصغيرة من الحديد إذا ألقيت في صحراء ما نسبتها إلى الصحراء؟

قال : ((وفضل العرش على الكرسي مثل ذلك)) أي نسبة الكرسي إلى العرش مثل نسبة السماوات السبع والأرضون السبع إلى الكرسي . إذًا هذه الأرض التي أنت تعيش فيها ماذا تكون في هذا الكون العظيم الفسيح الواسع !! فإذا تفكرت في هذه العظمة متدرجًا من الأرض إلى السماوات إلى الكرسي إلى العرش العظيم كل ذلك يهديك إلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى ووجوب إفراده وحده تبارك وتعالى بالعبادة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله رضي الله عنه . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال: وله طرق .

ثم أورد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام)) ؛ انظر هذه المسافات التي تدلك على عظمة هذه المخلوقات ، وأن السعة والكبر كلما ارتفعت زادت العظمة واتسعت وزاد الكبر وزادت النسب بين هذه المخلوقات ؛ ((بين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة الكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)) وهذا فيه الجمع بين العلو ؛ علو الله سبحانه وتعالى على مخلوقاته ، استواءه على عرشه المجيد سبحانه وتعالى ، وأنه مطلع على العباد لا تخفى عليه خافية كما قال الله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله تعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)) أخرجه أبو داود وغيره .

قال : ((وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟)) وهذه دعوة للتأمل في عظمة هذه المخلوقات والذي يهدي إلى تعظيم من خلقها وأوجدها سبحانه وتعالى .

((هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم ، قال: بينهما -أي السماء والأرض- مسيرة خمسمائة عام ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والعرش بحرٌ بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض -أي خمسمائة عام- والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم)) أي فوق هذا الماء العرش المجيد العرش العظيم العرش الكريم ، والله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل؛ الأولى: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ أي مع ترامي أطرافها وتباعده مسافاتهما يكون شأنها أنها في قبضة الرحمن جل وعلا يوم القيامة ، وقد ساق رحمه الله تعالى من الأحاديث ما يفسر ذلك ويبينه ، كحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : ((يطوي الله السماوات بيده يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع)) .

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه صلى الله عليه وسلم لم ينكروها ولم يتأولوها. أن هذه العلوم التي تتعلق بمعرفة الله سبحانه وتعالى ومعرفة عظمته جل وعلا وأمثالها من العلوم باقية عند اليهود ؛ أي مما لم يدخله التحريف ، ولهذا وُجدت عند هذا الخبر الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : «باقية عند اليهود الذين في زمانه صلى الله عليه وسلم ولم ينكروها ولم يتأولوها» ، وقد وُجد في أمة محمد عليه الصلاة والسلام من الناس من أنكر هذه وتأولها ولم يقبلها ، وهذا واحد من علماء اليهود جاء بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يزال باقي هذا الأمر موروثاً لم يتغير ولم يحرفوه ولم يبدلوه، وجاء وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم به وضحك النبي صلى الله عليه وسلم تصديقاً لقوله .

الثالثة: أن الخبر لما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم صدّقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك. أن الخبر لما ذكر ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام صدّقه لأنه صلى الله عليه وسلم لما سمع الخبر يقول ذلك ضحك حتى بدت نواجذه ، قال ابن مسعود «تصديقاً لقوله» ، وقرأ عليه الصلاة والسلام قول الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] .

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم. لما ذكر الخبر هذا العلم العظيم - أن الله يضع السماوات على اصبع والأرضين على اصبع إلى آخر ما جاء في الحديث - ضحك النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا العلم العظيم الذي ذكره هذا الخبر ، وكان ضحك النبي عليه الصلاة والسلام تصديقاً لقوله . ومن ينكر ذلك من المعطلة يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم ضحك إنكاراً لقوله ؛ أليق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤتى بين يديه ويقال في حق الله ما لا يليق به ثم يضحك؟ لا والله ، ولهذا ابن مسعود رضي الله عنه قال : «ضحك حتى بدت نواجذه تصديقاً لقوله» ، وهذا هو الذي

يليق بمقامه عليه الصلاة والسلام ، ولو كان الذي قيل لا يليق بالله لما ضحك بل لغضب ولظهر الغضب على وجهه كما هو الشأن في كثير من الأحاديث التي فيها مواقف ظهر فيها الغضب على وجه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قيل في شأن الله عز وجل أو شرعه ما لا يليق .

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى والأرضين في اليد الأخرى.

وهذا جاء في حديث عبد الله بن عمر وهو في صحيح مسلم قال : ((يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى)) ، ثم قال بعد ذلك ((ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله)) ؛ وهذا فيه التصريح بذكر اليدين لله سبحانه وتعالى . وذكر اليدين أيضاً جاء في القرآن الكريم ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] .

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

أي كما في حديث ابن عمر قال : ((يأخذهن بشماله)) وهذا فيه التصريح بالشمال ، ولا يعارض هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ((وكلتا يدي ربي يمين)) ، لأن المقصود بقوله ((وكلتا يدي ربي يمين)) دفع توهم النقص .

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

أي عند ذكر أن الله عز وجل يطوي السماوات ويأخذهن يمينه والأرضين ويأخذهن بشماله ؛ ذكر عند ذلك الجبارون والمتكبرون ، وهذا الذكر يبين أن كل جبار من الناس وكل متكبر كان تكبره وتجبره على لا شيء ، تكبراً وتجبراً على لا شيء ، على أي شيء يتكبر هذا الإنسان؟ وما الذي فيه يدعو إلى التكبر؟ وما هو إلا مخلوق ضعيف أوله نطفة وآخره جيفة وهو بين ذلك يحمل في بطنه العذرة ، على أي شيء يتكبر هذا الإنسان!! ففي ذلك الموقف العظيم عند ذكر طي السماوات والأرضين وأن الله يأخذ السماوات يمينه والأرضين بالأخرى في ذلك المقام يقول: أين الجبارون أين المتكبرون ؟

الثامنة: قوله: «كخردلة في كف أحدكم».

أي كما جاء في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذا مما يبين أن هذه المخلوقات شأنها حقيرٌ وصغيرٌ بالنسبة لمن خلقها وأوجدها سبحانه وتعالى ، فهي في كف الرحمن كخردلة في يد أحدنا ، والخردلة في يد أحدنا القطعة الصغيرة في يد الإنسان لا تساوي شيئاً ، وهذا مثال وإلا مقام الله سبحانه وتعالى أجل وأعظم .

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

لأن الله جل وعلا قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ومر معنا في الأحاديث ما يدل على عظم الكرسي بالنسبة للسموات ، وأن السموات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة .

العاشرة: عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي.

أي كما جاء في الحديث قال : ((ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراي فلاة)) .
التفريق بين الكرسي والعرش : الكرسي مخلوق وهو دون العرش ، والعرش هو أعظم المخلوقات وسقفها ، وقد قال ابن عباس وضح ذلك عنه قال : «الكرسي موضع القدمين» ، فالكرسي هو مخلوق ذكر الله سبحانه وتعالى صفته وعظمته بأنه وسع السموات والأرض ، وأن نسبته كما جاء في الحديث إلى العرش كحلقة من حديد ألقيت في فلاة ، فالكرسي مخلوق عظيم من عظمته أنه وسع السموات والأرض ، والعرش مخلوق أعظم من الكرسي ، ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة .

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي.

أن العرش غير الكرسي ؛ هذا مخلوق وهذا مخلوق ، والنصوص التي تقدمت معنا مر معنا فيها ما يدل على أن العرش غير الكرسي .

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء ؟.

مر ذكر ذلك ؛ أن بين كل سماء وسماء خمسمائة عام .

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي؟

أيضا مر معنا أن بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام .

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء؟

أيضا كما جاء خمسمائة عام .

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

أن العرش فوق الماء ، والعرش هو سقف المخلوقات وأعلاها .

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

أن الله تبارك وتعالى فوق العرش أي مستو على عرشه المجيد استواءً يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى .

السابعة عشرة: كم بين السماء والأرض؟

جاء معنا في حديث العباس أن بين السماء والأرض خمسمائة عام .

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

أي كما جاء في حديث العباس .

التاسعة عشرة: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة .

أي كما جاء ذلك مصرحاً به في حديث العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه .

وبهذا يُختتم هذا الكتاب المبارك كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجزي هذا الإمام خير الجزاء على حسن صنيعه وحسن جمعه لهذا الكتاب وغيره من الكتب التي عظم نفعها وفائدتها بمنّ الله سبحانه وتعالى وفضله ؛ فنسأل الله جل وعلا أن يجزيه خير الجزاء ، وأن يرفع مقامه في عليين ، وأن يغفر لنا وله ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، ونسأله جل في علاه أن يصلح لنا أجمعين شأننا كله ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، ونسأله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علّمنا وأن يزيدنا علماً ، وأن يجعل ما نتعلمه حجة لا علينا ، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .